تفسير جزء تبارك

(سورة المعارج)

من كتاب:

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

لِلْشَّيْخُ العَلَّامَة

عَبْدُ الرَّحْمَن بِن ناصِر بِن عَبْدُ اللّه بِن سِعْدِيٍّ

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

شَرْحُ فَضِيلَةُ الشَّيْخ

أ.د: سليمان بن سليم اللّه الرحيلي

غَفَرَ اللّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِين

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس (١٣)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله رب العالمين، والصلاةُ والسلامُ الأتمانِ الأكملانِ على المبعوثِ رحمةً للعالمين، وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين، اللّهمَ صلِّ على محمدٍ وعلى آلِ محمد، كَمَا صليتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنكَ حميدٌ مجيد، اللّهمَ صلِّ على محمدٍ على آلِ محمد كَمَا صليتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنكَ حميدٌ مجيد، اللّهم صلِّ على محمدٍ وعلى آلِ محمد كَمَا صليتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنكَ حميدٌ مجيد.

أَمّا بَعْدُ:

فمعاشرَ الفضلاء إن الله عَزَّ وَجَلَّ جمعَ لكم فِي وقتكم هذا، وَفِي ساعتكم هذه أسبابًا يعظمُ معها رجاءُ إجابة الدعوة، فأنتم صائمون، وَفِي آخرِ ساعةٍ من يومِ الْجُمُعَة، وقد نزلَ المطر، وبعضكم مُسافر، وكُلُّ هذه أسبابٌ يعظمُ معها رجاءُ إجابة الدعوة، فإن دعا الوالدُ لأولاده زادَ سببًا آخر.

فوصيتي لنفسي وإخواني أن نغتنمَ الوقتَ فِي الدعاءِ لأنفسنا وأهلينا وذُرياتنا وخاصتنا، والدعاءِ لولاةِ أمورنا والدعاءِ لعلمائنا، أسألُ الله عَزَّ وَجَلَّ بأسمائه الحُسنى وصفاتِهِ العُلا أن يهدينا أجمعين إلى ما يُحبُ ويرضى، كَمَا أوصي الجميع بعدمِ نسيان إخوانهم المستضعفين الذين يمرونَ بمحنٍ شديدة، كإخواننا فِي غزة، وإخواننا فِي السودان، أسألُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ القويَ العزيز أن يُفرجَ عنهم، وأن يُنفسَ عنهم، وأن يحميهم وأن يحفظهم، وأن يدفعَ عنهم كُلَّ شر.

معاشرَ الفُضلاء، نواصلُ شرحنا فِي تفسير القُرآن الكريم، حيثُ نُفسرُ فِي هذا الشهر جزءَ تبارك، ولا زلنا مع تفسير سورة المعارج، وقد قرأنا الجزءَ الثاني من آياتِ هذه السورة، وفسرناها تفسيرًا موضوعيًا إجماليًا إيمانيًا، وبقيَ أن نُفسرها تفصيلًا تفصيليًا، فيتفضل الابن نور الدين وفقه الله والسامعين، يقرأُ لنا الآيات يُذكرنا بها، ثم يقرأ من تفسير الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ونُعلقُ عليه.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠
يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي
تُؤْوِيهِ ۝١٣ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۝١٤ كَلَّا إِنَّهَا لَظَى ۝١٥ نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ۝١٦ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ
وَتَوَلَّى ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ۝١٨﴾ [المعارج: ٨-١٨].

(المتن)

قال الإمامُ السعدي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى **وغفرَ له ولشيخنا والسامعين:** ثم ذكرَ أهوالَ ذلك اليوم وما يكونُ فيِه فقال: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ أي: يومَ القيامة تقعُ فيه هذه الأمورُ العظيمة، ﴿تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ وهو الرصاصُ المُذابُ من تشققها وبلوغ الهولِ منها كُلَّ مبلغ.

(الشرح)

نعم، بعدَ أن بيّنَ ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن عذابهُ واقعٌ لا محالة بالمُدبرينَ عن الحق، المُعرضينَ عنه، وأنَ يومَ القيامة واقعٌ لا محالة، وأن الكُفارَ لجهلِهم وسخافة عقولهم يرونَ عذابَ الله بعيدًا لن يقع، فهو مُستبعد الوقوع عندهم هو مُحال، ويرونَ أن يومَ القيامة وما يكونُ فيه بعيدًا مُستبعد الوقوع، ولن يقع.

وبيّنَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يعلمُ أنَّه واقعٌ قريبًا لأنه واقعٌ لا محالة، وكُلُّ واقعٍ قريب، ولا يعلمُ وقتَ وقوع الساعة إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لكنَ المؤمنينَ المُصدقينَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ المُصدقينَ لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرونَ ويعلمونَ أن يومَ القيامةِ قريب؛ لأن الله أخبرهم بذلك، ولأن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرهم بذلك، فلا توجدُ عندهم ذرةُ شَكٍ فِي وقوعِ يومَ القيامة.

وأن النَّاسَ يوم القيامة منهم شقيٌ يدخلُ فِي النار ويُعذبُ فِي النار، والله إن المؤمنينَ يوقنون أن هناكَ من النَّاس مَنْ سيدخلُ النار ويُعذب، ومن النَّاس مَنْ هو سعيد ويدخلُ الجنة، ولا يُوردونَ فلسفاتٍ وأقوالًا باطلة، كالقولِ: إنه يُمكن أن يُعذبَ اللهُ جميعَ يوم القيامة ولا يُدخل أحدًا الجنة، أو يُمكن أن يُدخلَ الله جميع الخلق الجنة ولا يُعذب أحدًا بالنار.

كيفَ يسوغُ أن يقولَ مسلمٌ هذا وقد أخبرنا الله أن هناكَ مَنْ يدخلُ النار ويُعذبُ بكذا، ويقولُ كذا، ويُجابُ بكذا، فالمؤمنونَ المصدقونَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرونَ ويعلمون

أن يومَ القيامةِ قريب، ويوقنونَ بما أخبرَ اللهُ به، وأخبرَ رسولهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به، مما يقعُ فِي ذلكَ اليوم.

بعدَ أن بيّنَ اللهُ هذا، بيّنَ أهوالًا وأمورًا عظامًا تقعُ فِي يومِ القيامة، فِفي يوم القيامة تكونُ السماء التي هي شديدةٌ قوية متماسكة، لا ترى فيها فتورًا، ولا ترى فيها عوجًا، تكونُ فِي ذلك اليوم كالمُهلِ، والمُهل فسرهُ الشيخ بأنه الرصاص المُذاب بالنارِ شديدة الحرارة.

وفسرهُ بعضُ المفسرين بأنه حُسالةُ الزيت، إذا وضعتَ زيتًا فِي إناء ومكث فإنكَ ترى فِي أسفلهِ حُثالة، ليست مُتماسكة وليست سائلة، فبعض المفسرين قال: تكونُ السماء مثل هذه الحُثالة متشققة، متفطرة.

وبعض المفسرين قال كَمَا قال الشيخ: المُهل هو الرصاص كالمعدن ونحو ذلك إذا سُخِنَ بالنارِ فإنه يذوب، فتكونُ السماء من تشققها وانفطارِها فِي ذلك اليوم كأنها رُصاص مُذاب، كان قويًا فلما سُلطت عليه النار صارَ سائلًا.

(المتن)

قال: من تشققها وبلوغِ الهولِ منها كُلَّ مبلغ.

(الشرح)

نعم، لماذا تتشققُ السماء يومَ القيامة؟

أولًا: لأمرِ اللهِ لها، فاللهُ يأمرها بذلك.

وثانيًا: لهيبتِها لله عَزَّ وَجَلَّ.

وثالثًا: لخوفِها وفزعِها من غضب الله فِي ذلك اليوم.

ورابعًا: لأهوالِ ذلك اليوم.

هذه الأمور الأربعة تجعل السماء تتشقق وتتفطر فِي ذلكَ اليوم.

(المتن)

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ وهو الصوفُ المنفوش.

(الشرح)

وهو الصوف المنفوش الذي نُفشَ.

وقال بعض المفسرين: (العهن) هو الصوف المصبوغ.

وقالوا: إن الصوفَ إذا صُبغَ يضعف، فتصير الجبال كالصوف المصبوغ.

وقال بعضُ المفسرين: كالصوفِ الملون؛ لأن الجبالَ ملونة، فإذا دُكت فإنها تصيرُ خطوطًا كالصوفِ الملون.

وقال بعضهم: (العهن) هو الصوفُ الأحمر.

المهم: (العهن) هو الصوفُ المنفوشُ الضعيف. فهذه الجبالُ الراسياتُ شديدة الصلابة تُصبحُ ذلك اليوم كالصوفِ الضعيف المنفوش.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: ثم تكونُ بعد ذلكَ هباءً منثورًا فتضمحل.

(الشرح)

نعم، ينسفُها اللهُ نسفًا، ويدكها دكًا، ويُفتتها تفتيتًا، ثم تُصبحُ هباءً، وتختلطُ بالأرض. هذا هو حالُ الجبالِ يومَ القيامة.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: فإذا كان هذا الانزعاجُ والقلقُ لهذه الأجرامِ الكبيرةِ الشديدة، فما ظنُكَ بالعبدِ الضعيف الذي قد أثقلَ ظهرهُ بالذنوبِ والأوزار، أليس حقيقًا أن ينخلعَ قلبهُ وينزعجَ لُبهُ ويذهلَ عن كُلِّ أحد.

(الشرح)

نعم، إذا كانت السماء السميكة والجبال الشديدة، يحصلُ لها ذلك، فكيفَ بالإنسانِ الضعيف الذي خُلقَ ضعيفًا، وحملَ نفسهُ الأوزارَ والذنوب، أمنَ الله فِي الدنيا، ولم يخف من الله فِي الدنيا، فإنه فِي يومِ القيامة سيخافُ خوفًا شديدًا، فالإنسانُ إذا وافى وهو يعلم أنَّه يحملُ ذنوبه، ورأى هولَ ذلك اليوم، فإن لُبهُ يطير، يرى السماوات غيرَ السماوات، والأرض غيرَ الأرض، وكُلَّ شيءٍ قد تغير، ويرى الأهوال، فيذهلُ عن كُلِّ قريبٍ وحبيب، ألصقُ ما يكون المُرضعةُ بِمَنْ تُرضعهُ حالَ إرضاعه، ألصق ما يكون بين البشر، ما يكون بين المُرضعة والمُرضع من أولادها حالَ الإرضاع، فإنَ فيه حنانًا وودًا والتصاقًا عجيبًا، ومع ذلك فالمُرضعةُ تذهلُ عما أرضعت فِي ذلكَ اليوم، ولذلك قال الله.

(المتن)

قال: ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ أي يُشاهدُ الحميمَ.

(الشرح)

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ أي يُشاهدُ بعضهم بعضًا، فيُشاهدُ الأبُ أبناءه ويعرفهم، ويُشاهدُ الأبناءُ أباهم ويعرفونه، وكذلك الأُم، ويُشاهدُ ابنُ العم ابنَ عمه، ويُشاهدُ الصديقُ صديقه، يرونهم ويرونَ أحوالهم، لكنهم لا يقفونَ لهم، ولا ينتظرونهم، بل يفرُ بعضهم من بعض.

(المتن)

قال: أي يُشاهدُ الحميمُ وهو القريبُ حميمهُ، فلا يبقىٰ فِي قلبه مُتسعٌ لسؤالِهِ عن حاله، ولا فيما يتعلقُ بعشرتهم ومودتهم، ولا يهمهُ إلا نفسه.

﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ﴾ الذي حق عليه العذاب، ﴿لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَاحِبَتِهِ﴾ أي زوجته، ﴿وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ﴾ أي قرابته.

(الشرح)

لم يُفسر الشيخ الأخ لأنه معروف.

(المتن)

﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ أي قرابتهِ، ﴿الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾ أي التي جرت عادتُها فِي الدنيا أن تتناصرَ ويُعينَ بعضُها بعضا.

(الشرح)

نعم، فسرَ بعضُ أهل العلم الفصيلة بالقرابة القريبة.

وفسرَ بعضُ المفسرين الفصيلة بالعشيرة وهي القبيلة.

وفسرَ بعضُ المفسرين الفصيلة بالفخذِ من القبيلة؛ لأن العادة القبائل تكون أفخاذًا، والفخذ أخص من القبيلة.

وفسرَ بعض المفسرين الفصيلة بالأُم، قال: فصيلتهُ يعني أُمه.

والمقصودُ: شدة القرابة التي تتناصرُ مع الإنسان فِي الدنيا، وتحمي الإنسان فِي الدنيا ويحميها، فِي ذلك اليوم لا يسألُ أحدٌ منهم أحدًا، لا يسألهُ عن حاله، ولا يسألهُ عما يحتاج، ولا يسألهُ أن يحملَ عنهُ شيئًا، ولا يطلبُ منهُ أن يحملَ عنهُ هو شيئًا، بل كُلٌّ منشغلٌ بنفسه.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: ففي يوم القيامةِ لا ينفعُ أحدٌ أحدًا، ولا يشفعُ أحدٌ إلا بإذن الله، بل لو يفتدي المجرمُ المستحقُ للعذابِ بجميعِ ما فِي الأرضِ ﴿ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ ذلك، لم ينفعه.

(الشرح)

﴿ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾؛ الضمير عائد إلى الافتداء، يعني: ثم يُنجيهِ ذلك الافتداء. يعني يا إخوة، يتمنى لو يُلقى كُلَّ هؤلاءِ فِي النار، ثم يُنجيهِ ذلكَ من عذاب الله فلا يُعذب.

(المتن)

﴿كَلَّا﴾ أي: لا حيلةَ ولا مناصَ لهم.

(الشرح)

نعم ﴿كَلَّا﴾ كَمَا يقول العلماء: كلمة ردع وزجر. وقال بعض أهل العلم: هي على بابها نافية، هي نافية، فلا حيلةَ لهم ولا مناصَ لهم من العذاب.

(المتن)

قد حقت عليهم كلمةُ ربك، وذهبُ نفعُ الأقاربِ والأصدقاء.

(الشرح)

ولا يقبلُ اللهُ منهم أيَ فِداء، فلا قريبَ ينفع، ولا فِداءَ يُقبل.

وبهذا تعرف حقارة الدنيا، هذه الدنيا يا عبدَ الله لو جمعتها كُلها من أطرافِها، وجُمعَ لكَ كُلَّ شيءٍ تُحبهُ فيها، فإنها لا تُساوي شيئًا أمامَ عذاب الله عَزَّ وَجَلَّ.

ولذلك المؤمن يعرفُ للدنيا قدرها، ولا يلهو بها عن الآخرة، كَمَا يأتي إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

(المتن)

﴿إِنَّهَا لَظَى ۝١٥ نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾ أي النارُ التي تتلظى.

(الشرح)

﴿إِنَّهَا لَظَى﴾ لظى هي النار، وهذا من أسماء النار، سُميت بذلك لأنها تتلظى، أي تتلهب، فهي شديدةُ اللهب.

(المتن)

تنزعُ من شدتها للأعضاء الظاهرةِ والباطنة.

(الشرح)

﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾، ما هو الشوى؟

قالَ بعضُ أهل العلم: هي الأعضاءُ ظاهرُها وباطنُها، فإذا كُبَّ المخذولُ فِي النار، فإن النارَ أول ما تُقابله، تنزعُ جلدهُ، بدًا من فروةِ رأسِهِ، إلى جلدِ وجهِهِ، إلى بقية جلدهِ، ثم تنزعُ لحمهُ، فلا يبقى من لحمِهِ شيءٌ على العظيم، ثم تنزعُ يديه من أماكنها، ثم تنزعُ رجليه من أماكنها، ثم تدخلُ إلى جوفه فتنزعُ قلبه، وتنزعُ أحشاءه، ثم يردُ الله كُلَّ ذلك كَمَا كان، يُعذبُ ويُهان.

فهذا أولُ ورودهِ على النار، - نعوذُ باللهِ من ورودِها-.

(المتن)

﴿تَدْعُو﴾ إلىٰ نفسها.

(الشرح)

يعني أن النارَ ترى أهلها من بعيد، فتعرفهم بأسمائهم، وأعيانِهم، فتُناديهم إليها: يا فُلان هلمَ، يا فلان تَعَالَى، فتدعوهم النار بأسمائهم.

والملائكةُ تدُعهم، تدفعهم دفعًا شديدًا، النارُ تدعوهم، والملائكةُ تدُعهم إلى النار.

(المتن)

﴿تَدْعُو﴾ إلىٰ نفسها ﴿مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴿١٨﴾﴾ أي أدبرَ عن اتباع الحق، وأعرضَ عنه، فلا غرضَ له فيه، وجمعَ الأموالَ بعضها فوقَ بعض، وأوعاها فلم يُنفق منها ما ينفعهُ ويدفعُ عنهُ النار.

(الشرح)

(أوعى) معناها: جعلَ المالَ فِي وعاءٍ وختمه، أي أغلقهُ وأوكاه، فلا يُخرجُ منهُ شيئًا لله، بل يُجمعُ المال ويُخزنهُ، فهذا أعرضَ عن الحق، وكان المالُ وبالًا عليه، فالأكثرونَ من أهلِ الدنيا هم الأقلونَ يومَ القيامة، أي الأكثرون من الأموال فِي الدنيا هم الأقلون يوم القيامة، أي الذين بخلوا بالمال وجمعوه وصاروا يُكثرونهُ ولا يُخرجونَ منهُ شيئًا لله، هم الأكثرون يومَ القيامة، إلا مَنْ قال بالمالِ هكذا وهكذا

وهكذا، فأخرجَ منهُ لله عَزَّ وَجَلَّ، فنعمَ المالُ الصالح للرجل الصالح الذي يكتسبُ المالَ من حلال، ويُنفقهُ فِي حلال، ويعرفُ حقَ اللهِ فيه، ويُخرجُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ منه؛ هذا مُفلح.

أما غيرهُ والعياذُ بالله؛ فإنه متوعدٌ بالعذابِ الشديد.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: فالنارُ تدعو هؤلاءِ إلىٰ نفسها وتستعدُ للالتهابِ بهم.

(الشرح)

نقرأ الجزء الثالث من الآيات.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ
﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ
يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾
وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾
فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

[المعارج: ١٩-٣٥].

فِي هذه الآيات العظيمة يُخبرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وهو خالقُ الإنسان، أن طبيعة الإنسان أنَّه خُلقَ هلوعًا، شديد الخوف، قليلَ الصبر، قليلَ الشُكر، لا يصبرُ على شرٍ وضراء، ولا يشكرُ عندَ خيرٍ ونعماء، فإذا مسهُ الشرُ والضُر من فقرٍ أو مرضٍ أو بلاءٍ أو فقدِ محبوبٍ أو غيرِ ذلك مما يكرهه لم يصبر، بل كان كثيرَ التسخط والتجزع، والاعتراض، والحُزنِ على ما مضى من ذلك، والهمِ على ما يأتي، فلا ينسى ماضيًا من بلاء، ولا يهنأُ بحاضر، ولا يأمنُ على مُستقبل؛ فهو فِي قلقٍ دائم.

وإذا مسهُ الخيرُ من مالٍ أو صحةٍ أو غيرِ ذلك مما يُحبه، لم يشكر، ولم يعلم أن ذلكَ من الله، ولم يُعطِ مما أتاهُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو كثيرُ الحُزنِ عند المُصيبة.

والزعم أنَّه لا يستحقُ ذلك، وأنه مظلوم، وهو شديدُ الحرصِ عند النعمة، والزعمِ أنَّه إنما أوتيَ ذلك بعلمه وذكائه، وقُدراته، وأنه لا حقَ لأحدٍ فيما عِنده، وهذا طريقُ الخُسران فِي الدنيا والآخرة، ولا ينجو من هذا الخُسران إلا المؤمنون المُصلون المتصفون بالصفات المذكورةِ فِي الآيات، فإن أمرهم

كَمَا قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمرهُ كلهُ له خير، وليسَ ذلكَ لأحدٍ إلا للمؤمن، إن أصابتهُ سراء شكرَ فكانَ خيرًا له، وإن أصابتهُ ضراء صبرَ فكان ذلكَ خيرًا له»، رواهُ مسلم.

المؤمن يعلم أَنَّه إن أصابتهُ ضراء فذاكَ بعدلٍ من ربهِ وحكمة؛ فيصبرُ على ذلك، وإن أصابتهُ نعماء فإنه يوقن أنها من فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيشكر على ذلك، وهؤلاء المؤمنونَ المُفلحون الناجونَ من الخُسران من إيمانهم وصفاتِهم أنهم يداومونَ على صلاتِهم، ما داموا أحياء، ومعهم عقولهم، لا يتركونَ الصَّلَاةَ أبدًا، يؤدونَ فرضها، ويُكثرونَ من نفلِها، يؤدونَ فرضها فِي وقته، يُقيمونها ويحرصونَ على تتميمها، ولا يُلهيهم شيءٌ عنها، فهي المُقدمةُ عندهم على كُلِّ شيء، إذا جاء وقتُها تركوا كُلَّ شيء وأقبلوا على الصَّلَاة، يداومونَ عَلَيْهَا.

ومن إيمانهم وصفاتهم أنهم يُخرجونَ من أموالهم التي هي رزقٌ من الله، يُخرجونَ منها لله، فيُخرجونَ الواجبَ فيها، وهو الزكاة، والنفقةُ الواجبةُ عليهم، على وجهِ التمام، ويتصدقونَ منها على المُحتاجين، فمن سألهم وأظهرَ لهم أَنَّه مُحتاج أعطوهُ، ومن تعففَ من المُحتاجين تفقدوهُ وأوصلوا إليهِ ما ينفعهم من أموالِهم، فخيرُهم واصل للسائلِ الذي يُظهرُ فقره وللمتعفف الذي يُخفي فقره.

ومن إيمانهم وصفاتهم أنهم يُصدقونَ تصديقًا جازمًا لا شكَ معه، بكُلِّ ما أخبرَ اللهُ به، وما أخبرَ بِهِ رسولهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من البعث والحساب، وما يكونُ يومَ القيامة، ويوقنونَ من ذلك، وأنهم ملاقوا ربهم، ويستدعونَ لذلك اليوم، يُخلصونَ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويُجردونَ الاتباعَ لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن إيمانهم، ومن صفاتِهم أنهم مُشفقونَ وجلونَ خائفونَ من عذاب اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، يخافونَ أن يُصيبهم العذابُ فِي الدنيا، أو فِي الآخرة؛ لأنهم يوقنون أن كُلَّ بني آدم خطاء، فهم فِي خوفٍ من الله، وَفِي خوفٍ من عذاب اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فإن عذابَ اللهِ غيرُ مأمون، فهو قريبٌ من الظالمين.

وهذا الخوفُ يدفعهم إلى إحسان العمل، يدفعهم إلى تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيحرصونَ على أن يكونوا حيثُ أمرهم الله، وعلى أن يغيبوا حيثُ نهاهم الله، فلا يُفقدونَ فِي أماكن الطاعة، ولا

يوجدونَ فِي أماكن المعصية؛ لأنهم يخافونَ الله، يخافونَ أن ينزلَ العذاب على العُصاةِ حالَ عصيانِهم، فلا يعصونَ الله، ولا يُجالسونَ العُصاة، ويحرصونَ على أن يكونوا مع الصادقين، ومن الصادقين.

ومن إيمانهم وصفاتهم أنهم يحفظونَ فروجهم؛ وبالتالي يحفظونَ فروجَ غيرهم، مَنْ حفظَ فرجه، حفظَ فرجَ غيرِه، فلا يضعونَ شهوتهم ولا مُقدمات الشهوة إلا فيما أحلَ الله عَزَّ وَجَلَّ، فنظرهم إلى مَا أحلَ الله، سمعهم فيما أحلَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يفعلونَ شَيْئًا يقودهم إلى شهوةٍ محرمة، حافظونَ لفروجهم هذه صفتهم الدائمة، ولا يضعونَ الشهوةَ إلى فيما أباحَ اللهُ لهم، وذلك بأمرين لا ثالثَ لهما:

الأول: الزواجُ الشرعي، فيحلُ للزوجِ أن يستمتعَ بزوجتهِ مَا اجتنبَ مَا حرمَ الله.

ويحلُ للزوجِ أن يتزوجَ واحدة، ولا لومَ عَلَيْهِ، وثانية ولا لومَ عَلَيْهِ، وثالثة ولا لومَ عَلَيْهِ، ورابعةَ ولا لومَ عَلَيْهِ.

قَالَ السلف: مَنْ لامَ مَنْ تزوجَ أربعًا مع القُدرةِ على العدل؛ فقد خالفَ شرعَ الله.

فهم يحفظونَ فروجهم إلا فِي هذين الطريقين:

الأول: الزواج.

والثاني: ملكُ اليمين بالطريق الشرعي، فيستمتعُ السيدُ بأمته، ولا حرجَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، ولا لومَ عليهم لأنهم فعلوا مَا أباحَ اللهُ لهم.

وإنما اللومُ على مَنْ يطلبُ طريقًا لتفريغِ شهوته، أو يضعُ مقدمات الشهوة فِي غيرِ هذين الطريقين، مِنْ زنًا ولواطٍ ونظرٍ محرم، وغيرِ ذَلِكَ، فهؤلاءِ هم الذين يستحقونَ اللوم، فيدخل فِي ذَلِكَ يا إخوة كُلُّ طريقٍ غيرَ الزواج وملك اليمين.

ولذلك الذين يأتون ويضحكون على النَّاس ويقولون: لا دليلَ على تحريم الاستمناء فِي الكتاب وَالسُّنّة، إما أنهم مُغرضون، وإما أن علمهم قاصر، فهذه الآية نصٌ فِي تحريمِ الاستمناء؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ وصفَ المؤمنين بأنهم حافظونَ لفروجهم، إذًا مَا هُوَ الأصل؟ الأصل حفظُ الفرجِ، **واستثنى طريقين:**

- الزواج.

- وملك اليمين.

ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ﴾، مَنْ طلبَ مَا وراء هذين الطريقين، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٧]، المعتدونَ المرتكبونَ للحرام المتجاوزونَ حدودَ الله.

سبحان الله يا إخوة تأملوا كيفَ سورَ الله الحلالَ بالحفظِ قبلهُ وبعده، فقبلهُ وصفَ المؤمنين بأنهم لفروجهم حافظون، ثُمَّ ذكرَ الحلال ثُمَّ قَالَ: ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾، مَنْ طلبَ وراءَ هذين الطريقين: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾.

وَمِنْ صفاتهم: أنهم يحفظونَ الأمانةَ بأنواعِها، مِنْ دينٍ، فالدينُ عندهم أمانة، ورأسهُ وأعظمهُ التوحيد، فهم يحفظونَ دينهم، ويحفظونَ توحيدهم، وسِرهم لغيرهم، وعملٍ أو مالٍ أو غيرِ ذَلِكَ، ويؤدونها إلى أهلها، ويحفظونَ عهودهم مع الله عَزَّ وَجَلَّ، أو مع خلق الله، فَإِنَّهُم يعلمونَ أن اللهَ سيسألهم عَنْ عهودهم، فيحرصونَ على رعايتها حقَ رعايتها.

وَمِنْ إيمانهم: أنهم لا يشهدونَ إلا بالحقِ فِي حق اللهِ وفي حق الخلقِ، فهم لا يشهدون أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأن مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، ويشهدونَ بالحقِ للخلق، وإذا ترتبَ على شهادتهم الوصولُ إلى الحق لم يكتموها، بل سارعوا إلى أدائها مقيمينَ لها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يُجاملونَ فيها أحدًا مِنْ الخلق، فلا يكتمونَ مَا يعلمون مُجاملةً لقريبٍ أو حبيب، ولا يشهدونَ بما لا يعلمون، مُجاملةً لقريبٍ أو حبيب أو نكايةً فِي عدو.

وَمِنْ إيمانهم: أنهم يُحافظونَ على صلواتِهم، يُحافظونَ على أوقاتِها، ويُحافظونَ على شروطِها، ويحافظونَ على أفعالها وأقوالِها، ويحافظونَ على خشوعها.

ولأهمية الصَّلَاة، عظمَ اللهُ شأنها فذكرها فِي أولِ الصفات، ثُمَّ ختمَ بها الصفات؛ فالصلاةُ أصلُ الخيرِ للموحد، وسببٌ لكُلِّ خير، الصَّلَاة دافعةٌ للشرِ بإذنِ الله، جالبةٌ للخيرِ بإذن الله.

﴿أُولَئِكَ﴾ المؤمنون الشاكرونَ عندَ النعماء، الصابرونَ عِنْدَ الضراء، ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ وليسَ فِي جنةٍ واحدة، فِي بساتين عظيمة مُتعددة هي حدائق نضرة جميلة، لا يُمكنُ وصفُها، فمهما وصفها المخلوق أو تخيلها المخلوق لن يصلَ إلى حقيقتها، ولن تخطرَ على قلبه.

أولئك المؤمنون فِي تلك الجنات ﴿مُكْرَمُونَ﴾ بأنواع النعيم، نعيمٌ دائم لا مُنغصَ لَهُ، لا فِي طلبه، ولا فِي التنعم به، ولا فِي الخوفِ مِنْ انقطاعه، ولا فِي الخوفِ مِنْ ضعفه، ولا فِي الخوفِ مِنْ التعودِ عَلَيْهِ، هم مُكرمون، أكرمهم اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بجميعِ أنواع الإكرام فِي جناتِ النعيم.

هَذَا التفسير الموضوعي الإجمالي الإيماني لهذه الآيات.

ثُمَّ نعودُ إلى التفسيرِ التفصيلي لهذه الآيات.

(المتن)

قَالَ الإمامُ السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ وَهَذَا الوصفُ للإنسانِ مِنْ حيثُ هُوَ، ووصفَ طبيعته الأصلية أنه هلوع.

(الشرح)

نعم، هَذَا عَلَيْهِ جماعة مِنْ المُفسرين: أن الإنسان هنا جنس الإنسان، فجنسُ الإنسان خُلقَ هلوعًا.

وذهبَ جماعةٌ مِنْ المُفسرين منهم ابن جرير الطبري: إلى أن الإنسان هنا هُوَ الكافر، فهذه طبيعةُ الكافر، فيكون الاستثناء القادم منقطعًا على هَذَا المعنى.

- **لَكِنَّ الظَّاهِرِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ هُوَ مَا ذكرهُ الشيخ:** أن الإنسان هنا جنس الإنسان.

(خُلقَ هلوعًا)، الهلوع، قَالَ بعض المفسرين: إنه شديدُ الخوف مع شدةِ الحرص.

وَقَالَ بعضُ المفسرين: الهلوع هُوَ الضعيف.

وَقَالَ بعضُ المفسرين كما قَالَ الشيخ: إن الآيات التي تليها فسرت الهلوع؛ بأنهُ الَّذِي لا يصبرُ عِنْدَ البلاء، ولا يشكرُ عِنْدَ النعماء.

(المتن)

وفسرَ الهلوعَ بقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ فيجزعُ إن أصابهُ فقرٌ أو مرضٌ أو ذهابُ محبوبٍ لَهُ مِنْ مالٍ أو أهلٍ أو ولد، ولا يستعملُ فِي ذلكَ الصبرَ والرضا بما قضا الله.

(الشرح)

بل هُوَ شديدُ الجزع، معنى الجذوع: شديدُ الجزع، الَّذِي يتضجر ويتظلم إذا وقعَ به البلاء مِنْ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(المتن)

﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ فلا يُنفقُ مما أتاهُ الله، ولا يشكرُ اللهَ علىٰ نعمهِ وبِره، فيجزعُ فِي الضراء، ويمنعُ فِي السراء.

(الشرح)

نعم، المنوع يا إخوة؛ هُوَ الَّذِي يمنعُ غيرهُ خيره. (المنوع: هُوَ الَّذِي يمنعُ غيرهُ خيرهُ)؛ فهذا يجمعُ بين أشرِ مَا يكونُ فِي الإنسان، عندهُ جزعٌ شديد، وعندهُ حرصٌ شديد، وقد قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «شرُ مَا فِي الرَجُلِّ: شُحٌ هالع، وجُبنٌ خالع» رواهُ أبو داود وصححهُ الألباني.

أشرُ صفات الرجل أن يكونَ شحيحًا حتى يُصبحَ هلوعًا خائفًا على المال، لو دخلَ عَلَيْهِ مائة ألف، وأنفقَ ريال، لما نظرَ إلى الَّذِي دخل، وإنما نظرَ إلى الَّذِي خرج، اليوم ذهب ريال، والمال إذا ذهب منه شيء نقص.

هَذَا معنى الشُح الهالع.

(والجُبن الخالع) هُوَ الخوفُ الشديد الَّذِي يخلع القلب، (خالع) يعني يخلع القلب مِنْ شدة الخوف.

فهاتان الصفتان: (الشُح الهالع، والجُبن الخالع) أشر الصفات التي يتصف بها الرجُل، كما أخبرَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَهَذَا متصفٌ بهاتين.

(المتن)

﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ الموصوفينَ بتلك الأوصاف.

(الشرح)

﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ قَالَ بعضُ أهل العلم: إلا المُصلين المرادُ بهم: إلا المؤمنين، إلا المؤمنين، وذكرَ الصَّلَاةَ لأنهُ لا إيمانَ بلا صلاة.

﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ يعني إلا المؤمنين، والصلاة مِنْ الإيمان، ولا إيمانَ بلا صلاة عندَ جماعةً مِنْ أهل العلم وَهُوَ الراجح مِنْ أقوالِ أهل العلم، بدليل، وَهَذَا أحد الأدلة: أن اللهَ يعني ذكرَ المؤمنين بالصلاة، فَقَالَ: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾.

وقول الله: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾، مَا قَالَ: إلا الذين يُصلون، قَالَ: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾؛ ليدُلَ على أن هذه الصفة لازمةٌ لهم، لا تتخلف؛ فهي لازمةٌ لإيمانهم، وَمِنْ إيمانهم لا تتخلفُ أبدًا.

(المتن)

إلا المصلين الموصوفينَ بتلك الأوصاف.

(الشرح)

نعم، فإن الصَّلَاةَ تُهذبُ طبعهم، وتُهذبُ نفوسهم، فالمُصلي يخرجُ عَنْ جنسِ الإنسان الَّذِي خُلقَ هلوعًا إلى جنس الإنسان المطمئن، إلى الإنسان الراضي، الشاكر، الصابر، فالصلاة سببٌ لكُلِّ خير.

(المتن)

فَإِنَهُم إذا مسهم الخيرُ شكروا اللهَ وأنفقوا مما خولهم الله، وإذا مسهم الشرُ صبروا واحتسبوا.

وقولهُ فِي وصفهم: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَايِمُونَ﴾ أي مداومونَ عَلَيْهَا فِي أوقاتها بشروطِها ومكملاتها، وليسوا كمن لا يفعلها، أو يفعلها وقتًا دونَ وقت، أو يفعلُها علىٰ وجهٍ ناقص.

(الشرح)

نعم، (دائمون)، قَالَ بعضُ العلماء: المقصود بالصلاة هنا: الفرائض، و(دائمون) أنهم مداومونَ عَلَيْهَا، يؤدونها على وجهِ التمامِ مَا أمكنهم، فلا يُصلونَ ويخلون، ولا يتركونَ الصَّلَاةَ أبدًا، ويحرصونَ على تمامها.

وَقَالَ بعضُ المفسرين: (دائمون) معناها: ساكنونَ خاشعون؛ لأن الدائم هُوَ الساكن الَّذِي لا يجري، الماء الدائم هُوَ الماء الساكن الَّذِي لا يجري، فدائمون قالوا: معناها ساكنونَ خاشعونَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ عُقبة بن عامر الجُهني رَحِمَهُ اللهُ: الدائمُ هُوَ الَّذِي إذا صلى لم يلتفت عَنْ يمينهِ ولا عَنْ شمالِهِ.

وقيلَ: (دائمون) أي يفعلونَ فرضها ويُكثرونَ نفلها؛ فهم يُكثرونَ مِنْ نوافل الصَّلَاة ويُحافظونَ على فروضٍ، على الصلواتِ المفروضة.

والكُلُّ صحيح وتحتملهُ الآية، ولا تعارضَ بين المعاني فتُجمع فِي هذه الآية.

(المتن)

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ مِنْ زكاة وصدقة.

(الشرح)

نعم، ذهبَ جماعة مِنْ السلف إلى أن الحقَ المعلوم هنا هُوَ الزكاة؛ لأن الله وصفهُ بكونهِ معلومًا، والحق المعلوم بأجزائهِ وصفاته هُوَ الزكاة.

وذهبَ بعضُ السلف: إلى أنَ الحقَ المعلوم هنا: الحق الواجب وَهُوَ الزكاة، والنفقة الواجبة، كالنفقة على الوالدين، والنفقة على الزوجة، وصلة الرحم، أن يصلَ الإنسان رحمهُ بالمال، والصدقة على النَّاس.

وعلى هَذَا؛ فمعنى (معلوم) أنه مضمون يُداومونَ عَلَيْهِ.

بعضُ الأخيار يا إخوة يجعل مِنْ مالهِ، مما لا يجب عَلَيْهِ، جُزءًا معلومًا لأهل الحاجة يصلهم بانتظام، فِي آخر الشهر، فِي أول الشهر يصلهم مبلغ، يتكفل بأُسر، وقد لا يعرفونهُ، وإنما يصلهم المال، فهم يعلمونه، يقولون: اليوم سيأتينا إنْ شَاءَ اللهُ المبلغ، فَهُوَ معلومٌ عندَ النَّاس الذين يُعطونَ هَذَا المال.

وعندي أن الثاني أقرب مِنْ الأول، فالحق المعلوم يشمل الزكاة والنفقة الواجبة، وكُل مَا يُخرج لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

﴿لِلسَّائِلِ﴾ الَّذِي يتعرضُ للسؤال.

(الشرح)

نعم، لشدةِ حاجته يسأل النَّاس.

الأصل يا إخوة أن الإنسان السوي يصعب عَلَيْهِ أن يسأل النَّاس، لَكِنّ بعض النَّاس مِنْ شدة حاجتِهم يضر أن يسأل النَّاس، لا طريقَ عنده إلا أن يسأل، فهذا هُوَ السائل.

(المتن)

﴿وَالْمَحْرُومِ﴾ وَهُوَ المسكينُ الَّذِي لا يسألُ النَّاسَ فيُعطوه، ولا يُفطنُ لَهُ فيُتصدقُ عَلَيْهِ.

(الشرح)

نعم، المحروم قِيلَ كما قَالَ الشيخ: هُوَ المسكين الَّذِي لا يجدُ كفايته، لكنه مُتعفف، لا يُخبرُ النَّاس، ولا يسألُ النَّاس، وهؤلاء يا إخوة مِنْ الإيمان أن نتفقدهم، مِنْ جيرانِنا وأقاربنا وإخوانِنا، نتفقدهم، ونتفقد أحوالهم، ونوصل إليهم؛ لأنهم لن يُخبروا ولن يسألوا.

وقالَ بعضُ المفسرين: (المحرومُ) هُوَ الفقيرُ الَّذِي حُرمَ الغِنى فَهُوَ لا يجدُ شَيْئًا.

وَقَالَ بعضُ المفسرين: (المحروم) هُوَ الَّذِي يعمل ويبذل الأسباب، لَكِنّ لا يُحصلُ مَا يكفيه، مع عملِهِ وبذلِهِ الجُهد، مَا يُحصل مَا يكفيه.

والكُل صحيح، فالكل يدخل فِي معنى المحروم.

(المتن)

﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ أي يؤمنونَ بما أخبرَ به، وأخبرت به الرُسُلُ مِنْ الجزاءِ والبعث، ويتيقنونَ ذَلِكَ، فيستعدونَ للآخرة، ويسمعونَ لها سعيها.

والتصديقُ بيوم الدين يلزمُ منهُ التصديقُ بالرُسُلِّ وبما جاءوا به مِنْ الكُتب.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾، أي: خائفونَ وجلون، فيتركونَ لذلكَ كُلَّ مَا يُقربهم مِنْ عذاب الله.

(الشرح)

نعم يا إخوة، الشفقة خوفٌ خاص، وَهُوَ الخوفُ مِنْ معلوم، الخوف مِنْ شيء تعلمه؛ هَذَا يُسمى شفقة، فهم مُشفقونَ مِنْ عذاب الله؛ لأنهم علموا عذاب الله، وآمنوا بعذاب الله، فهم مُشفقونَ خائفونَ مِنْ عذاب اللهِ عَزَّ وَجَلَّ

(المتن)

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ أي هُوَ العذابُ الَّذِي يُخشىٰ ويُحذر.

(الشرح)

وَلَا بُدَّ مِنْ أن يخافهُ الإنسان فِي الدُّنْيَا؛ لأن كُلَّ بني آدم خطاء، ولا يأمن أحد على نفسِهِ الخطأ؛ فينبغي أن يبقى المؤمنُ خائفًا مِنْ الله فِي الدُّنْيَا، خائفًا مِنْ عذاب الله؛ لأنه:

أولًا: يُدرك أن كُلَّ بني آدم خطاء.

وثانيًا: لا يدري مَا يكون مِنْ أحواله؛ فإن النَّاس تتقلب، والقلوب تتقلب، فَهُوَ يخافُ مِنْ عذاب اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

ومَنْ خافَ اللهَ فِي الدُّنْيَا، وخافَ عذاب اللهِ فِي الدُّنْيَا، أمنهُ الله يوم القيامة، فقد أخبرنا رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أن اللهَ قَالَ: وعزتي لا أجمعُ علىٰ عبدي خوفينِ ولا أمنين، إذا خافني فِي الدُّنْيَا أمنتهُ يوم القيامة، وإذا أمنني فِي الدُّنْيَا أخفتهُ يوم القيامة». رواهُ ابن المُبارك وابنُ حِبان، والطبراني، وصححهُ الألباني.

فَمِنْ خافَ الله فِي الدُّنْيَا، وافَ عذاب الله فِي الدُّنْيَا، أمنهُ الله يوم القيامة، أما مَنْ أمنَ الله وأساءَ العمل؛ فإن الله يُخوفهُ يومَ القيامة.

(المتن)

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ فلا يطؤونَ بها وطًا محرمًا مِنْ زِنًا أو لواطٍ أو وطأٍ فِي دُبرٍ أو حيضٍ ونحوِ ذَلِكَ، ويحفظونها أيضًا مِنْ النظرِ إليها ومسِها ممن لا يجوزُ لَهُ ذَلِكَ، ويتركونَ أيضًا وسائلَ المُحرمات الداعيةِ لفعلِ الفاحشة.

(الشرح)

لأن حفظ الفرج لا يكون إلا بهذا، لابدَ مِنْ اجتنابِ وسائل الحرام، وَلَا بُدَّ مِن اجتنابِ مُقدمات الحرام مما هُوَ حرام، ولو إلى الصور ونحو ذَلِكَ مما يُهيجُ الشهوة، وَلَا بُدَّ مِنْ اجتنابِ فعل الحرامِ، ومقدمات الحرام زِنا، غيرَ أن الزنا الأكبر هُوَ فعلُ الفاحشة، فالنظرُ إلى الحرام زنا، هُوَ زنا العينين، وسماعُ الحرام الَّذِي يُهيجُ الفاحشة زنا؛ هُوَ زنا الأُذنين، والسعيُ زنا الرجلين، والزنا الأكبر: هُوَ مَا يكونُ بالفرج الَّذِي يُصدقُ ذَلِكَ أو يُكذبه.

(المتن)

﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي سُرياتِهم، ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ فِي وطئَنَ فِي المحل الَّذِي هُوَ محلُ الحرث.

(الشرح)

قَالَ العلماء: يؤخذُ مِنْ هَذَا أن مَنْ فعلَ حلالًا لا يُلام، فلا لومَ على مَنْ فعلَ مَا اباحهُ اللهُ لَهُ، فلا يُلامُ، ولا يُثربُ عَلَيْهِ إذا فعلَ الحلال.

(المتن)

﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَٰلِكَ﴾ أي غيرَ الزوجةِ وملك اليمين.

(الشرح)

أي مَنْ طلبَ استفراغَ الشهوة بغيرِ الزواجِ وملك اليمين.

(المتن)

﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ أي: المتجاوزونَ مَا أحلَ اللهُ إلىٰ مَا حرمَ الله.

(الشرح)

فهم متجاوزونَ لحدود الله، مُعتدونَ فِي فعلهم.

(المتن)

ودلت هذه الآيةُ علىٰ تحريمِ نكاح المُتعة؛ لكونِها غيرَ زوجةٍ مقصودة، ولا مِلكِ يمين.

(الشرح)

نعم، أُمنا عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا احتجت على تحريم نكاح المتعة بهذه الآية، وكذلك تدل على تحريم غير ذَلِكَ مما ليسَ زواجًا شرعيًا، ولا ملكَ يمين شرعيًا كالاستمناءِ وغيره.

(المتن)

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ أي: مراعونَ لها محافظونَ مجتهدونَ علىٰ أدائها والوفاءِ بها.

(الشرح)

فهم إذا أُتِمنوا لم يخونوا، وإذا عاهدوا لم يغدروا، إذا أُتمنوا لم يخونوا؛ فليست الخيانةُ وصفًا لهم، وإذا عاهدوا لم يغدروا، فليسَ الغدرُ مِنْ صفاتِهم.

(المتن)

قَالَ: وَهَذَا شاملٌ لجميعِ الأماناتِ التي بين العبدِ وبين ربه، كالتكاليف السِريةِ التي لا يطلعُ عَلَيْهَا إلا الله.

(الشرح)

نعم، بعض العلماء يا إخوة يقولون: إن الدين ينقسم إلى قسمين:

- شعائر.
- وأمانات.

أما الشعائر: فهي الأمور الظاهرة التي يطلعُ عَلَيْهَا النَّاس، مثل: صلاة الجماعة، مثل: جلوسنا فِي المجلس، مثل: تحديثي أنا، هَذَا أمر يطلع عَلَيْهِ النَّاس، يسمعهُ النَّاس؛ فهذا يُسمى شعيرة.

والقسم الثاني: أمانات، وهي التي لا يطلعُ عَلَيْهَا النَّاس، كالنيات.

الآن نحنُ جلوس، لا يعلمُ نياتنا إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهي أمانة، نيتُكَ فِي قلبك أمانة، مُعاملة الرجل لأهل أمانة، ومعاملة الرجل للناس شعيرة.

ولذلك بعض النَّاس يا إخوة ينجح فِي الشعيرة ويفشل فِي الأمانة، بعض النَّاس فِي معاملة النَّاس كما يقولون: عسل، مِنْ ألطف النَّاس، لَكِنّ مَا إن يدخل البيت ويغلق الباب حتى يُصبحَ أسدًا ونحلًا

يقرص، غضوب، لجوج، كثير الاعتراض، هَذَا نجح فِي الشعيرة التي أمام النَّاس، لَكِنّ فشل فِي الأمانة التي لا يطلع عَلَيْهَا النَّاس.

إذًا بعض أهل العلم يقولون: إن الدين شعائر وأمانات، والشيخ يُشير إلى هَذَا، يقول: مِنْ الأمانة: التكاليف السِرية التي لا يطلع عَلَيْهَا إلا الله.

أيضًا منها الصوم، الصوم أمانة، ولذلك قَالَ الله: «إلا الصوم فإنه لي».

والحَقُّ أن الدينَ كُلَّهُ أمانة، وأن رأسَ الأماناتِ على الإطلاق التوحيد، أعظم أمانة عندنا التوحيد، وأعظم خيانة على الإطلاق الخيانة فِي التوحيد.

والدينُ كُلُّهُ أمانة، والله سيسألُنا عَنْ هذه الأمانة.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: والأماناتِ التي بين العبدِ وبين الخلقِ فِي الأموالِ والأسرار، وذلك العهدُ شاملٌ للعهدِ الَّذِي عاهدَ عَلَيْهِ الله، والعهد الَّذِي عاهدَ الخلق عَلَيْهِ؛ فإن العهدَ يُسألُ عنه العبد هل قامَ به ووفاه؟ أم رفضهُ وخانهُ فلم يقم به.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ أي لا يشهدونَ إلا بما يعلمونهُ مِنْ غيرِ زيادةٍ ولا نقصٍ ولا كتمان، ولا يُحابي فيها قريبًا ولا صديقًا ونحوه، ويكونُ القصدُ بإقامتها وجه الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢]، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥].

(الشرح)

هَذَا على أن المُرادَ بالشهادة هنا: شهادةُ الخلقِ للخلق، تشهدُ بمال، أو نكاح أو نحو ذَلِكَ.

وَقَالَ بعضُ السلف، وَهَذَا مذكورٌ عَنْ ابن عباسٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا: الشهادةُ هنا شهادةُ أن لا إلهَ إلا الله، وأن محمدًا رسولُ الله، فهم قائمونَ بها ظاهرًا وباطنًا، يعتقدونَها ويقولونَها ويعملون بمقتضاها.

(المتن)

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾.

(الشرح)

انظروا يا إخوة، إذا تأملون فِي الآيات، نجد أن ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ﴾ فكررَ الاسمَ الموصول مع كُلِّ وصفٍ، مع أنه يصحُ لُغةً أن يُقال: الذين هم على صلاتهم دائمون، وفي أموالهم حقٌّ معلوم، لكنَ تكرار الاسم الموصول لفائدة.

يا إخوة: ليسَ فِي القُرآنِ حرفٌ زائدةٌ لا فائدةَ لَهُ، تكرار الاسم الموصول للدلالةِ على أنَ كُلَّ وصفٍ مِنْ هذه الأوصاف يستحقُ أن يوصفَ به المؤمن بانفراده، فهي ليست أوصافًا تابعة فقط، هي تابعة للتوحيد، ولكنَ كُلَّ وصفٍ يصلح أن يكونَ مُستقلًا ويُذكرُ وحدهُ.

ولذلك يقولُ العلماء: إن هذه الأوصاف مكارمُ أوصاف المؤمنين، ولذلك كان جزاءُ أهلها الإكرام.

(المتن)

﴿أُولَئِكَ﴾ أي الموصوفونَ بتلك الصفات.

﴿فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أي قد أوصلَ اللهُ لهم مِنْ الكرامةِ والنعيم المُقيم، مَا تشتهيهِ الأنفس، وتلذُ الأعين، وهم فيها خالدون.

وحاصلُ هَذَا: أن اللهَ وصفَ أهلَ السعادة والخيرِ بهذه الأوصف الكاملةِ والأخلاق المرضيةِ الفاضلةِ، مِنْ العبادات البدنية؛ كالصلاةِ والمداومةِ عَلَيْهَا، والأعمال القلبية، كخشية الله الداعية لكل خير، والعبادات المالية، والعقائد النافعة، والأخلاق الفاضلة، ومعاملة اللهِ ومعاملةِ خلقهِ أحسنَ مُعاملة مِنْ انصافهم وحفظ حقوقهم وأماناتِهم، الفعةِ التامةِ بحفظ الفروجِ ما يكرههُ اللهُ تَعَالَىٰ.

(الشرح)

أحسن، نقفُ عِنْدَ هذه النُقطة، ونُكملُ غدًا إن شاء اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ودرسنا غدًا سيكونُ فِي كُرسينا المعتاد إِنْ شَاءَ اللهُ؛ نقلنا الدرس اليوم إلى هَذَا الكُرسي؛ لأن الشيخَ عبد الرزاق حفظهُ الله يعني أعلنَ

أنه لن يُقيمَ الدرس، ورفقًا بالناس بسبب المطر؛ لأن ذاك المكان فيه مشقة على النَّاس فِي وقت نزول المطر.

لَكِنّ الدرس غدًا إِنْ شَاءَ اللهُ سيكون بعد العصر فِي الكُرسي المعتاد، لعلنا نُجيب عَنْ شيء مِنْ الأسئلة.

(الأسئلة)

السؤال: جزاكم اللهُ خيرًا، وباركَ فيكم، ونفعنا الله بها سمعنا. أحسنَ اللهُ إليكم، هَذَا يقول: أيهما أفضل: أن أُصلي التراويحَ والتهجد، أم أكتفي بأحدهما؟

الجواب: أيهما أفضل: أن أُصلي التراويحَ والتهجد، أو أكتفي بأحدهما؟

مَنْ قالَ لك إنهما صلاتان! إنها صلاةٌ واحدة، يُجتهدُ فيها فِي العشر الأواخر؛ لأن سُنة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يجعلُ قيامهُ فِي العشر الأواخر زائدًا عَنْ قيامهِ فِي العشرين الأول.

فإذا دخلت العشر أحيا ليلهُ.

وبالمناسبة يا إخوة: هناك فرق بين إحياء الليل وقيام الليل.

قيام الليل لا يكونَ إلا بالصلاة.

وإحياء الليل يكون بالصلاة، والدعاء، والذِكر وقراءة القُرآن، فلا يلزم مِنْ قولِ أُمنا عائشة رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهَا: إن رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت إذا دخلت العشر أحيا ليله، أنه يقوم الليل كُلهُ، لا، ولكن كان يجتهدُ فِي العبادة فِي الليلِ كُلِّه، ولكن لا شك أنهُ كان يُطيلُ القيامَ فِي العشر الأواخر، فقد صلى بأصحابِهِ ليلة الثالث والعشرين إلى ثُلث الليل، وصلى بهم ليلة الخامس والعشرين إلى نصف الليل، وصلى بهم ليلة السابع والعشرين إلى قُرب الفجر، مِنْ بعد العشاء إلى قُرب الفجر.

فالسُنةُ للمؤمن أن يكونَ قيامهُ فِي العشر الأواخر مختلفًا عَنْ قيامهِ فِي العشرينَ الأول، وَهَذَا الَّذِي يقع، والتسمية فقط للتمييز، سُميَّ تهجدًا لأنه يكون فِي آخر الليل، وإلا فالكُلُّ قيام، ولذلكَ لا يوترونَ بعدَ التراويح؛ لأن الصَّلَاةَ لازالت قائمة، وإنما يستريحونَ بينهما، ثُمَّ يُكملونَ الصَّلَاة.

ولذلك مَنْ أراد أن يفوزَ بما وردَ فِي الحديث: «مَنْ قامَ مع إمامهِ حتىٰ ينصرف؛ كُتبَ لَهُ قيامُ ليلةٍ أو ليلهِ»، فليُصلي مع الإمام أولِ القيام إلى أن يوترَ فِي آخرهِ، وَهَذَا هُوَ السُّنّة، ولا أعلمُ سُنةً لمن يُصلي مع الإمام إلا أن يبقى معهُ حتى ينصرف، هذه السُّنّةُ الصريحةُ الصحيحة، ولا أعلمُ سُنّةً لمن صلى مع الإمام إلا هَذَا.

لا أعلم أن السُّنّة للمأموم أن يتركَ إمامهُ يُصلي وينصرف هُوَ، نعم يجوز لَهُ، لَكِنّ أن يُقال: إنها السُّنّة، مَا نعرفُ هذه السُّنّة، السُّنّة: مَنْ قامَ مع إمامهِ حتى ينصرف، كُتبَ لَهُ أجرُ قيامِ ليلة.

والذي عَلَيْهِ السلف: أن القيامَ لا حدَ لَهُ محدود، فقد أدركَ الإمامُ مالك رَحِمَهُ اللهُ أهلَ المدينة فِي زمنه يُصلونَ مِنْ أزمانٍ متطاولة ثلاثًا وعشرينَ ركعة، وَهَذَا يعضد الرواية الصحيحة أنه عُمر رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه فِي آخر الأمر جمعَ النَّاس على ثلاثٍ وعشرينَ ركعة، وهذه الرواية ليست شاذة؛ لأنها لا تُخالفُ رواية الإحدى عشرةَ ركعة؛ بل كانَ ذَلِكَ فِي أول الأمر، ثُمَّ جُمعَ النَّاس على ثلاثٍ وعشرين، ثُمَّ استمرَ أهلُ المدينة على صلاةِ التراويح ثلاثًا وعشرين ركعة إلى زمن الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ.

والإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ يذكرُ أنه أدركَ أهلَ مكة مِنْ أزمانٍ متطاولة يُصلونَ ستًا وثلاثينَ ركعة، ثُمَّ يوترون، فهذا فعلُ السلف فِي المدينة، وفعلُ السلفِ فِي مكة.

وتتابعَ عَلَيْهِ العلماء، وأقرهُ العلماء.

نعم، الكمالُ لو أمكنَ أن تُصلى إحدى عشرةَ ركعة مع تطويل يمتد مع الوقت، هَذَا أكمل مَا يكون، ولكن صلاة الليل مثنى مثنى إلى أن يوترَ الإنسان.

السؤال: أحسنَ اللهُ إليكم، هذه أُخت أسلمت قبل تسع سنوات، ووالداها لازلا كافرين، ويُريدان زيارتها فِي نهارِ رمضان، تسأل تقول: هل يجوزُ لها أن تُضيفهم فِي نهارِ رمضان؟

الجواب: الكُفارُ مخاطبونَ بفروع الشريعةِ تكليفًا، فلا يجوزُ للمؤمن أن يُعينَ الكافر على الفِطر؛ لأنه لا يمنعهُ مِنْ الفِطرِ.

يعني يا إخوة لو كان عِنْدَ الإنسان خادمة كافرة، وأرادت أن تُفطر؛ فإنه لا يمنعها، طبخت لنفسِها، مَا يمنعها.

لَكِنّ قالت لَهُ: أحضر لي كذا وكذا لأطبخ؟ مَا يُحضر لها.

قالت لَهُ: أحضر لي مِنْ المطعم لآكل؟ مَا يُحضِرُ لها؛ لأن الكُفار مُخاطبون بفروع الشريعة.

فإذا جاءها والداها، فما تُقدم لهم طعامًا ولا شرابًا.

لَكِنّ لو قاموا إلى الثلاجة وأخذوا مِنْ الثَّلَاثَة مَا تمنعهم، ولو جاءوا معهم بحلوى أو شيء، مَا تمنعهم مِنْ الأكل، لَكِنّ تُبينُ لهم أنها مَا تأكل لأنها مُسلمة صائمة.

السؤال: أحسنَ الله إليكم، يقول: امرأة بعد عمرتها مرضت مرضًا شديدًا، وتعافت بعدَ يومين، وبعدما تعافت جامعها زوجُها ونسيت أن تأخذَ مِنْ شعرِ رأسِها، فماذا عَلَيْهَا؟

الجواب: عَلَيْهَا أن تذبح شاة، تركت واجبًا، وَهُوَ التقصير؛ لأنها امرأة، وَهُوَ التقصير. وَمَنْ ترك واجبًا فعليه دم، مَنْ تركَ شَيْئًا مِنْ نُسكه أو نسيه فعليه دم.

فهذه مَا دام أنها جُمِعت؛ فإنا نقول: يجب عَلَيْهَا دم؛ لأن القول بعدم هَذَا؛ فيه مشقة شديدة، وَهَذَا القول، قولٌ صحيح، فنقول: خلاص، قد تركت التقصير، وعليها دم يُذبح فِي مكة، ويوزع على فُقراء مكة، فإن كانت فقيرة لا تملكُ قيمة الدم فإنها تصوم عشر أيام فِي أي مكان، مُفرقة أو مُتتابعة.

السؤال: أحسنَ اللهُ إليكم، هَذَا يقول: هل يُشترط حولان الحول فِي زكاة عروض التجارة؟

الجواب: نعم، يا إخوة انتبهوا، عروضُ التجارة مال، ولذلك عروض التجارة تُضافُ إلى مالك الَّذِي عِندك، وإذا جعلتَ المالَ فِي عروض التجارة؛ فإن الحول يبقى الأصلي، يعني يا إخوة لو أكرمني الله وكان عندي مائة ألف، -والله على كُلِّ شيء قدير، سبحانه وتعالى- كان عندي مائة ألف، اكتسبتُها فِي شهر مُحرم، حولُها فِي شهر محرم.

فِي شهر شوال: اشتريتُ بها أرضًا بقصد أن أبيعها، صارت ماذا؟ عروض تجارة، مِنْ أين يبدأ حولُها؟ مِنْ محرم، ليسَ مِنْ يوم الشراء، انتبهوا إلى هَذَا؛ لأن هَذَا يُخطئ فيه كثير مِنَ النَّاس، عروض التجارة يبقى على أصل المال، هَذَا المال الَّذِي اشتريتَ به عروض التجارة، مَا حولهُ؟ هُوَ حول عروض التجارة.

فكما قُلت لكم: فِي محرم اكتسبتُ مائة ألف، فِي شوال اشتريتُ أرضًا لأبيعها، جاء محرم: أسأل عَنْ قيمتها فِي السوق؟ قالوا: قيمتها صارت مائة وخمسين ألف؛ أُزكيها. قالوا: صارت ثمانين ألف؛ أُزكيها.

واضح يا إخوة؟ لَا بُدَّ مِنْ حولان الحول، ولكن حول عروض التجارة هُوَ حولُ أصل المال.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يُفقهني وإياكم فِي دينه، وأن يجعلنا جميعًا مفاتيحًا للخير، مغاليقَ للشر، وأن يُصلحَ أحوالنا أَجْمَعِين، وأن يُحيينا حياةً طيبة، وأن يتقبلَ مِنا، وأن يُعيننا على الصيامِ والقيام، وأن يجعلنا مِنْ عبادِهِ السابقينَ فِي العشر الأواخر، وأن يجعلنا فِي العشر بعافيةٍ وأمنٍ وإيمان، ونشاطٍ واجتهادٍ فِي العبادة.

واللهُ تعَالَى أَعْلَى وأَعْلَمُ، وَصلِّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّم.